المحاضرة الأولى

علم الاجتماع الحضري

(مفهومه ومجالاته)

عناصر المحاضره:

أولاً :مفهوم علم الاجتماع الحضري ومجالاته.

- ثانياً :مفهوم التحضر.
- ثالثاً :مفهوم الحضرية..

مقدمة أو مدخل

- يرى كثير من الباحثين والعلماء أن القرن الماضي هو عقد التحضر السريع ، وهذا التصور ينطوي على كثير من الصدق ، فعلى الرغم من أن الدول الصناعية الغربية قد شهدت تحضراً مرتفعاً مع مطلع القرن التاسع عشر إلا أن هذا التحضر قد تعاظم خلال القرن العشرين.

- ثم واصل تعاظمه بعد الحرب العالمية الثانية حينما حصلت معظم الدول النامية على استقلالها السياسي، وبدأت تشهد انفجاراً حضرياً ، وبطبيعة الحال فإن هذا الانفجار الحضري يستدعيه بالضرورة كمية من المطالب والاحتياجات الطبيعية والمادية والمتغيرات في كثير من المجالات كالإسكان والتشييد والطرق والمواصلات والخدمات المختلفة.

- وإذا كنا بصدد دراسة الحياة الاجتماعية في تلك المناطق الحضرية الكبرى ، فبالتالي فنحن في حاجة إلى تكثيف الاهتمام بدراسة المشكلات الاجتماعية الحضرية في المستقبل.

- وبالتالي فإن الدراسات الحضرية – كما يقول رايسمان -ذات أهمية أساسية لعلم الاجتماع نفسه، ذلك أن دراسة عملية التحضر يمكن أن تخدم دراسة التغير في أي مجتمع من المجتمعات.

- هذا إلى جانب أن دراسة البناء والتنظيم الاجتماعي الذى يقوم على الحياة الحضرية يمكن أن يفيد في فهم البناء والتنظيم الاجتماعي القائم في أي مجتمع ، حتى لو لم يمكن مجتمعاً حضرياً.

- لكن مازال علم الاجتماع الحضري يفتقد إلى التكامل النظري وربما يرجع ذلك إلى أن ظروف نشأة علم الاجتماع الحضري التي ارتبطت بظروف اتساع نطاق المدن في الولايات المتحدة الأمريكية موطن نشأته الأولى.

- فقد فرضت في أول الأمر وحتى وقت قريب الاهتمام بتقديم المعرفة والوصول إلى صياغات نظرية تسهم في إثراء النظرية العامة لعلم الاجتماع، ولهذا يحمل علم الاجتماع الحضري حتى اليوم طابع الاهتمامات الأولى.

- ولعل هذا هو الذى يفسر تعدد المداخل التي قد تنتمي إليه ، والتي تنتمي في الواقع إلى فروع أخرى من المعرفة كالجغرافيا والأيكولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد وغيرها.

•لذا سوف نوضح خلال هذه المحاضرة مفهوم علم الاجتماع الحضري ومجالاته الأساسية، ثم ندخل إلى مفهوم التحضر والحضرية باعتبارهما من المفهومات التي يحدث فيها خلطاً كبيراً مستخلصين أهم خصائص الحياة الحضرية وأخيراً نشير إلى ما يتعلق بمستقبل الحياة الحضرية.

أولاً :مفهوم علم الاجتماع الحضري ومجالاته.

•يعرف علم الاجتماع الحضري**Urban Sociology :** بأنه علم اجتماع حياة المدينة وينظر إلى المدينة ويحللها كظاهرة اجتماعية في ذاتها إلى جانب دراسة المشكلات الخاصة بها، ولقد تطور تراث واضح ومميز لهذا العلم في أوروبا وأمريكا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

•وظهر بين الباحثين الأوربيين ميل إلى تبنى منهج تاريخي ، ولكن مع ذلك فسرت المدينة بطرق مختلفة فبينما يرى" فوستيل دى كولانج "مثلاً في كتابه المدينة العتيقة عام 1864 أن الدين هو السبيل أو النظام الهام والحاسم في المدينة.

•نجد أن" ماكس فيبر "في كتابه المدينة عام 1858 يحاول تحليل طبيعة المدينة وبحث وظائفها السياسية والإدارية واهتم بشكل خاص بحقوق وواجبات المواطنين وأهمية تمايز المكانة وتباينها.

•هذا في الوقت الذى حاول" السير هنرى مين "أن يحلل المدينة من منطلق اقتصادي بحت فميز بين المدينة الأم والمدن الصغرى المجاورة.

•أما في أمريكا فقد كان الباحثون الأوائل في علم الاجتماع الحضري من المهتمين بمسائل الأخلاق، بينما صاغ الباحثون قضاياهم وأفكارهم داخل إطار أيكولوجي بحت، فلقد ذهب" روبرت بارل "إلى أن المدينة عبارة عن بناء طبيعي له قوانينه التي ترتبط بالنظام الطبيعي والأخلاقي.

•أما" بيرجس "فقد اهتم بظاهرة توسع المدن وأثر ذلك على بنائها الأيكولوجي ، لذا فقد أشار مصطلح علم الاجتماع الحضري بشكل عام إلى الدراسة السوسيولوجية للمدن أو الحياة في المدينة أو الحياة الحضرية.

•وعلى هذا يعرف علم الاجتماع الحضري بشكل أكثر تحديداً بأنه فرع من فروع علم الاجتماع العام يستخدم مناهجه وأدواته ومفاهيمه في دراسة الحياة الاجتماعية داخل المجتمع الحضري(الذى يقابله ويرث بالمجتمع الشعبي أو الريفي.)

•تابع التعريف : والذي يتميز بالجماعات الثانوية وانقسامية الأدوار وتزايد معدلات الحراك(التنقل)الاجتماعي والمجتمع الحضري الذى يتميز بكبر الحجم، وكثافة السكان ، واللاتجانس هو العامل الأساسي الذى نفسر في ضوئه كافة الأشكال الاجتماعية التي تظهر في المدينة.

•وفي سياق هذا المعنى يهتم علم الاجتماع الحضري بالمدينة وما يتخللها من بناءات ودعائم ونظم وتيارات اجتماعية بالدراسة والتحليل كما يقوم بتفسير المظاهر المميزة للتنظيم الاجتماعي في مناطق الإقامة الحضرية في نشأتها وتطورها ووظائفها وأجهزتها الإدارية والفنية وتقسيمها الطبقي والمهني ومستوياتها التكنولوجية ومشكلاتها.

•وقد ضيق" روبرت بارك "تعريف علم الاجتماع الحضري وحصره في مقالته الكلاسيكية الشهيرة عن المدينة بأنه يهتم ببحث السلوك البشري في البيئة الحضرية.

•وفي ضوء ما سبق يتضح أن علم الاجتماع الحضري هو أحد فروع علم الاجتماع العام الذى يطبق مناهجه ونظرياته ومفاهيمه في دراسة للمدينة وأحوالها والظواهر الاجتماعية المرتبطة بها.

•ومدى تأثير الحياة الحضرية على السلوك الاجتماعي وأهم المشكلات المجتمعية التي تظهر في المدينة وفي إطار هذا يضيف "رايسمان "إلى أن هناك بعض الموضوعات التي لا يمكن دراستها دراسة حقيقية إلا من خلال مجتمع حضري كالطبقات الاجتماعية والبيروقراطية.

•ويمكن أن نعتبر المدن والمراكز الحضرية بمثابة المعمل الذى يصلح لدراسة عدد من ملامح المجتمع، من ذلك مثلاً الهجرة إلى المراكز الحضرية، وهنا لابد أن ندرس نوعية المهاجرين والدوافع وراء هجرتهم، وهل ترجع هذه الهجرة إلى الضغوط التي يتعرضون لها من جراء عوامل معينة كجاذبية المراكز الحضرية مثلاً.

•ومن المهم أيضاً التعرف على الأوضاع الطبقية للمهاجرين ، وما إذا كانت هذه الأوضاع الطبقية تتغير بسبب الهجرة كالتغيرات التي تحدث في الأنماط الأسرية.

•كذلك ضرورة التعرف على العلاقات الاجتماعية بين المهاجر كوافد حديث إلى المدينة وبين غيره من الحضريين المقيمين بالمدينة منذ البداية، كذلك ضرورة الاهتمام بدراسة البناء والتنظيم الاجتماعي على نطاق واسع في كثير من دول العالم.

•**وبناء على ذلك يمكن تحديد أهم مجالات علم الاجتماع الحضري على النحو التالي-:**

- ❖ دراسة المدن والمراكز الحضرية والمناطق المتاخمة لها.
- ❖ دراسة البناء الاجتماعي للحياة الحضرية.
- ❖ دراسة خصائص الحياة الحضرية سواء من زاوية الوحدة الاجتماعية الصغرى **micro- social** أو زاوية الوحدة الاجتماعية الكبرى. **macro-social**
- ❖ دراسة الأيكولوجية الحضرية بمعنى العلاقة بين الكائنات الحية وبيئتها الطبيعية.
- ❖ دراسة المدينة ودورها التاريخي وتطورها وبناؤها.
- ❖ دراسة المشكلات الاجتماعية في المدينة.
- ❖ دراسة التأثيرات الاجتماعية للحياة الحضرية ودراسة
- ❖ العلاقة بين التحضر والمجتمع والتصنيع.

•وهكذا يتضح أن علم الاجتماع الحضري هو العلم الذى يهتم بدراسة المدينة بوصفها مركز الحضر بدراستها في نشأتها وتطورها ووظائفها وأجهزتها الإدارية والفنية وتقسيمها الطبقي والمهني ومستوياتها التكنولوجية والمشكلات التي تعاني منها مثل مشكلات السكان وشئون الأسرة والتموين والمواصلات والخدمات العامة والخاصة والإسكان وغيرها.

ثانياً :مفهوم التحضرUrbanization

•تشتق كلمة التحضر من الكلمة اللاتينيةurbas **:** وهي اصطلاح كان الرومان يستخدمونه للدلالة على المدينة وبخاصة مدينة روما.

•وقد حددت دائرة المعارف البريطانية مصطلح التحضر باعتبارها العملية التي يتركز خلالها السكان في المدن أو المناطق الحضرية وتتم هذه العملية بطريقتين متباينتين هما-:

أ- من خلال زيادة المناطق الحضرية.
ب- من خلال زيادة حجم السكان للمقيمين في المناطق الحضرية.

•وبالتالي فالتحضر هو العملية التي بمقتضاها تحتشد نسبة متزايدة من سكان أحد المجتمعات في المدن ، وهي عملية قد ترتبط أو لا ترتبط بعملية التصنيع**Industrialization** وعلى هذا يعرف" كينجزلى دافيز "التحضر بأنه نمو نسبة السكان الذين يعيشون في المدن في مجتمع معين.

•وبالتالي قد تنمو المدن في الحجم دون حدوث تحضر إذا ما تزايد عدد السكان الريفيين بمعدل أكبر وتلك نقطة هامة، ففي أوروبا كان معدل النمو الحضري السريع راجعاً إلى الهجرة الريفية الحضرية الضخمة أما في العالم الثالث فالتحضر أكثر بطئا لأن سكان الريف مستمرون في الزيادة السريعة بالرغم من الهجرة إلى المدينة.

•وعلى هذا فالتحضر هو عملية من عمليات التغيرالاجتماعي تتم عن طريق انتقال أهل الريف أو البادية إلى المدينة وإقامتهم بمجتمعها، بمعنى هي عملية إعادة توزيع السكان من الريف إلى المدن والمراكز الحضرية الأخرى.

•ويطلق على المستوى الذى يميل إليه المجتمع من تحضر درجة التحضر **Degree of Urbanization** ويقصد به عادة نسبة السكان الذين يعيشون بمراكز عمرانية يزيد حجمها على عشرين ألف نسمة إلى مجموع سكان الدولة.

•ومن الطبيعي أنه كلما ارتفعت نسبة سكان الحضر زادت درجة التحضر غير أن هناك حالات خاصة ترتفع فيها أعداد السكان بالمدن خلال فترة معينة إلا أن ذلك لا ينعكس على زيادة في درجة التحضر ويرجع السبب في ذلك إلى أن ارتفاعاً يكون قد أصاب الريف بنفس المعدل.

•ومن هنا كان مؤشر(معدل التحضر**Rate of Urbanization**) دالاً في التعبير عن التغير الذى يصيب درجة التحضر خلال فترة زمنية معينة، ويقاس هذا التغير بنسبة مئوية وكلما ارتفع معدل التحضر على معدل التريف زادت بالتالي درجة التحضر.

•وتوصف عملية التحضر دائما بأنها عملية تراكمية **accumulative** ويقصد بذلك أن رصيد التحضر لا يظل ثابتاً على ما هو عليه وإنما يتعرض باستمرار لإضافات وزيادات تنجم عن الإقامة الدائمة والاستقرار بنطاق مكاني محدد مع ما يرتبط بذلك من انجازات يحققها الإنسان يوما بعد يوم ويضيفها إلى التراث الحضاري لمجتمعه.

•ولا نعني بالتراكم هنا زيادة سكانية فقط وإنما فوق ذلك هو زيادة موارد وخبرة لدى هؤلاء السكان على استغلالها والإفادة منها.

•وهكذا نلاحظ أن مفهوم التحضر قد ارتبط بمعاني كثيرة ومتعددة منها ما ذهبت إليه" هوب تيسدال "في تعريفها للحضرية إلى أنها عملية تتضمن حركة للسكان من حالة أو موقف أقل تركيزاً إلى آخر أكثر تركيزاً.

•وبهذا المعني لا توافق تيسدال على تصور الحضرية كعملية لانتشار الخصائص الحضرية خارج حدود المدن وذلك لأن هذا التصور يجعل المدينة على حد تعبيرها سببا للتحضر بدلاً من اعتبارها أي المدينة نتيجة لها كما أن هذا التصور لا يفسر في نظرها نشأة المدن وتطورها.

•وهكذا يمكن تعريف التحضر بشكل أكثر تحديداً بوصفه ضرب من ضروب التغير البنائي الذى لا يقتصر فقط على انتقال السكان من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية أو التحول من العمل الزراعي إلى العمل الصناعي، ولكنه يتضمن أيضا تغيرات أساسية تشمل تفكير الناس أو سلوكهم وقيمهم الاجتماعية.

ثالثاً :مفهوم الحضريةUrbanism

•يشير مفهوم الحضرية كما عرفه" مارشال جوردن "إلى أنماط الحياة الاجتماعية التي ترتبط بالسكان المقيمين في المناطق الحضرية والتي تتضمن تقسيم العمل والتخصص الدقيق وانتشار العلاقات الاجتماعية الرسمية والعلاقات القرابية وزيادة الروابط الطوعية والعلمانية وزيادة عملية الصراع الاجتماعي وزيادة الأهمية الاجتماعية لوسائل الاتصال.

•أي أن الحضرية هي اتجاه يتجسد في ظاهرة تشهدها كل المجتمعات البشرية وتعني إقامة الناس واستقرارهم في تجمعات حضرية(قد تأخذ شكل المدن)وتتبلور في التغير النوعي الذى يحدث في أنماط تفكيرهم وسلوكهم تجاه الأنشطة السائدة ونمو التنظيمات القائمة والحضرية.

•وبهذا الشكل تتضمن كل الجوانب الكيفية التي تتصل بالمعيشة في المدينة مع ما يرتبط بذلك من مشكلات حضرية.

•ويعد " لويس ويرث "من أبرز العلماء الذين ناقشوا وفسروا مفهوم الحضرية كطريقة في الحياة يمكن تناولها ميدانيا من خلال ثلاث اتجاهات متشابكة ومتساندة فيما بينها هي-:

١. كبناء فيزيقي يتضمن أبعاد أيكولوجية وسكانية وتكنولوجية.
٢. كنسق من التنظيم الاجتماعي يتضمن بناءاً اجتماعياً مميزاً أو مجموعة من النظم ونمطاً محدداً من العلاقات الاجتماعية.
٣. كمجموعة من الاتجاهات والأفكار تشترك في تكوين نمط السلوك الجمعي والذى يخضع لآليات الضبط الاجتماعي السائدة.

•وعلى هذا فالحضرية تشير إلى حالة أو كيفية أو طريقة في الحياة ، ومن المتصور أن تكون خاصية مميزة للمدينة أو المجتمع المحلي الحضري.

•والواقع أن كثيراً من الأفكار استوعبها تراث علم الاجتماع الحضري والتي حاولت أن تلخص خصائص المجتمع الحضري

مثل كتابات(جورج زيمل و بيتريم سودوكين و زيمرمان و لويس و برث) تصدق في جانب كبير منها لمحاولة لتحديد خصائص الحضرية كطريقة للحياة فلقد أجمعت كل هذه المحاولات على الخصائص التالية-:

١. تطوير نسق أكثر تعقيدا لتقسيم العمل لكى يعتمد على بناء مهني يتسم بالتباين بحيث يشكل أساساً لنسق التدرج الطبقي الاجتماعي.

٢. ارتفاع معدلات الحراك الاجتماعي والفيزيقي(المكاني.)
٣. الاعتماد الوظيفي والتساند المتبادل بين الأفراد.
٤. انتشار وسيطرة نسق من العلاقات الاجتماعية يتسم بالطابع السطحي وغير الشخصي إلى جانب سيطرة الطابع الانقسامي على الأدوار الاجتماعية.
٥. الاعتماد على الاساليب غير المباشرة للضبط الاجتماعي، ولقد لاحظ بعض الباحثين أن هذه الخصائص ليست قاصرة على المدن فقط وإنما قد يمكن انتشارها أو انتقالها خارج حدود المدن إلى جوانب الريف المجاور ، الأمر الذى أدى إلى تحضر المناطق الريفية ولو بدرجة محدودة.

الخلاصه:

•والجدير بالذكر هنا أن الحضرية وإن كانت تحمل في طياتها الإشارة إلى انبثاقها من المدن إلا أنها في الواقع مجرد طريقة في السلوك وحسب، أي سلوك له طريقته الخاصة وسماته الخاصة التي تميزه عن غيره وهي ليست تعبيراً مقصوراً على الحياة في المدن.

•فقد نجد إنساناً متحضراً وسلوكه الكلي حضري بينما يحيا في الريف ونجد آخر يحيا في أكثر أحياء المدن تحضراً وهو مع هذا لا يزال قرويا في تفكيره وطريقة معيشته بل وفي سلوكه ، فالمسألة إذن مسألة سلوك وليست مسألة مظهر.

المحاضرة الثانية

تابع علم الاجتماع الحضري

(مفهومه ومجالاته)

عناصر المحاضرة

- رابعاً :خصائص الحياة الحضرية.
- خامساً :مستقبل الحياة الحضرية.

رابعاً :خصائص الحياة الحضرية

- تتميز الحضرية كطريقة في الحياة ونمط في التفكير بالتغير السريع سواء من حيث الحركة السكانية أو من حيث التغير في النظم الاجتماعية أو الاقتصادية أو من حيث التغير في القيم والعادات والتقاليد والنظرة إلى الحياة ، وتتمثل أهم خصائص الحضرية فيما يلي-:

١. تتناسب الحضرية طردياً مع عدد السكان.
٢. شكل العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين الناس ونوع العمل.
٣. اللاتجانس أو التغير الاجتماعي.
٤. التسامح الاجتماعي.
٥. سيطرة الضبط الرسمي والثانوي.
٦. التنقل والحراك الاجتماعي.
٧. الروابط الطوعية.
٨. الفردية.
٩. العزل المكاني.
١٠. الحياة الحضرية أوسع نطاقاً من الحياة الريفية.
١١. تمتاز الحياة الحضرية بالتكيف السريع.

١. تتناسب الحضرية طردياً مع عدد السكان: بحيث كلما ازداد عدد السكان في مدينة ما ارتفعت فيها نسبة الحضرية ارتفاعاً ملحوظاً، وبالتالي يرتبط بسكنى الحضر ظاهرة لافتة ونقصد بها التركيز السكاني فهي أول ما يلفت النظر في أي مركز للنمو بصفة عامة. فهناك تيار من الهجرة يتدفق من المناطق المحيطة بهذا المركز إلى بؤرته بحثاً عن فرصة عمل جديدة أو فرصة عمل أفضل من السابقة، وهكذا تتكون ظاهرة التركيز السكاني بالمركز الحضري وتبدأ تأثيراتها بعد ذلك في الظهور وفي التأثير بدورها على أنماط الحياة بالمركز.

- ولذا فقد أكد بعض الباحثين على مقولة أساسية فحواها أن تركز السكان دالة للتحضر، ويحلو للبعض أن يسمي ظاهرة التركز السكاني بالتراكم السكاني ، وهي تسمية قريبة من الواقع إلى حد كبير ومتسقة مع طبيعة تلك الظاهرة التي لا تنشأ بشكل مفاجئ وإنما تتخذ السمة التدريجية.

٢. إن اهم سمه للحياة الحضرية هي شكل العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين الناس ونوع العمل: الذى يقومون به والتخصص وتقسيم العمل ومدى اتساع نطاقه، وليست المسألة في الحضرية مسألة عدد فقد نجد قرية من القرى يزداد عدد سكانها زيادة كبيرة جداً. وقد تجد أخرى عدد سكانها قليل فالعبرة ليست بعدد السكان ولكن بنوع وطبيعة العلاقات الإنسانية التي تميز الحياة الحضرية عن الريفية.

•وفي هذا الصدد يرى" لويس ويرث "أنه كلما كبر حجم المدينة قل احتمال معرفة عدد الأفراد ببقية سكانها معرفة مباشرة وشخصية، الأمر الذى يؤدى إلى تغير طابع الحياة الاجتماعية.

•لأن عدد الاشخاص الذين يتصل بهم الفرد أو يعتمد عليهم في المدينة كبير نسبياً فإن العلاقات الاجتماعية التي يكونها في المدينة تتسم بأنها سطحية وغير شخصية ولها الطابع الانقسامي.

•وبالتالي تتسم العلاقات الاجتماعية بين الأفراد في المدينة الثانوية والنفعية أكثر من كونها أولية وتكاملية وعاطفية، وسكان الحضر يرتبطون ويتفاعلون باستمرار مع الغرباء، ومن ثم تحل اللامبالاة محل الاستجابة المباشرة لسكان الريف نحو الغرباء سواء كانت تعاطفاً أو نفوراً.

•وبوجه عام فإن ساكن الحضر يعامل هذا الحشد الكبير من الغرباء ممن يقابلهم ويتفاعل معهم في حياته اليومية كما لو كانوا آلات حية متحركة أكثر من كونهم كائنات بشرية، ولذلك كان سلوكه نحو معارفه يختلف تمام الاختلاف عن سلوكه نحو ما يحيط به من الغرباء.

•رغم أن هذا السلوك يتحدد في أكثر جوانبه بوجودهم، كما أنه يستخدم مستويات خارجية أو مظهرية للحكم على الآخرين حيث يقيم غيره من الأفراد من خلال مظهرهم وطريقة حديثهم وتفكيرهم وسلوكهم ، غير أنه نظراً لأنه لا يعرف عنهم شيئاً فإنه لن يستطيع أن يحكم عليهم.

•ولا ينال الأصدقاء والمعارف من حياته ساكن الحضر ووقته إلا جانباً محدوداً، فهو وإن اعتمد في حياته على عدد كبير من الأفراد إلا أن هذا الاعتماد يكون بهدف إشباع حاجاته وخدمة مصالحه، كما يكون أكثر ارتباطاً بجماعات منظمة عنه بأشخاص بعينهم.

•ومن ثم فارتباطه بالآخرين يكون محدوداً فقط بما يقوم به الغير من نشاط أو دور معين في حياته ، ولهذا السبب توصف التفاعلات الاجتماعية والارتباطات أو العلاقات التي تقوم بين سكان الحضر.

•وذلك على حد تعبير" ويرث "بأنها ذات طابع انقسامي بمعنى أن تكون العلاقات الاجتماعية وسائل لتحقيق أهداف شخصية وبالتالي تكون أكثر رشداً وعقلانية وأكثر بعداً عن العاطفية أو الانفعالية.

٣. اللاتجانس أو التغير الاجتماعي: تعتبر خاصية اللاتجانس هي النتيجة الحتمية لظاهرة التحضر كعملية تركز مجموعة كبيرة من السكان في منطقة صغيرة ومحددة.

•ويبدو هذا الارتباط بين هذين المتغيرين واضحاً إذا وضعنا في الاعتبار حقيقة أن الكثافة السكانية الحالية تزيد إلى أقصى درجة ممكنة من عملية المنافسة سواء على المكان أو على الامتيازات والامكانات المتاحة.

•كما تدفع باستمرار إلى التخصص لذلك تغلب على الحياة المدنية أنشطة تطور بطبيعتها نسقاً أو نظاماً معقداً ودقيقاً للتخصص وتقسيم العمل لا يتوافر بالنسبة للأنشطة الزراعية، فإذا أضيف إلى ذلك ما يتميز به المجتمع الحضري أو المدينة من خصائص تجعل السكان يتوافدون اليها من بيئات مختلفة ومتغايرة.

•لهذا كله يصبح كل منها(المدينة والمجتمع الحضري)موطنا طبيعيا للتغاير واللاتجانس أو كما يسميها البعض بوتقة تختلط فيها الأجناس والثقافات المتغايرة لتسمح بل وتشجع على تأكيد الفروق الفردية باستمرار كأس النجاح.

•ويتحقق تكامل المجتمع من خلال ما يطوره هذا الاختلاف والتغاير من تضامن بين الأفراد يقوم على أساس نفعهم لبعضهم البعض وليس على أساس تماثلهم وتشابههم، والنتيجة التي نخلص إليها على حد تعبير "ويرث "هي أنه كلما ازداد عدد الأفراد الذين يشتركون في عملية التفاعل كلما ازدادت امكانات التمايز بينهم.

•ولذلك فإنه من المتوقع أن تتدرج السمة الشخصية لسكان المجتمع الحضري ومهنتهم وحياتهم الثقافية وأفكارهم وقيمهم على امتداد تتسع فيه الهوه بين طرفيه أو قطبيه على نحو أكثر وضوحاً عنه في المجتمع الريفي.

٤. **التسامح الاجتماعي:** ويعني التسامح هو الرغبة في منح الحريات المدنية للأشخاص وذوى الأقليات والديانات والرؤى السياسية المختلفة أو السماح للتعبير بحرية عن الأفكار المختلفة ومعاملة الآخرين وفقاً لمعايير عامة مستقلة عن الاختلافات القيمية.

•وقد أكد" ويرث "ارتباط هذا التسامح بطبيعة المجتمع الحضري الذى يتميز بتنوع الثقافات الفردية وتعدد أنماط الشخصيات وتمايز مستويات السلوك وسيطرة العلاقات السطحية.

•كل هذا جعل التسامح ضرورة لا غنى عنها في مجتمع يتطلب من أفراده أن يكونوا على وعى ودراية بالمعايير الثقافية المختلفة المتباعدة وأن يتفاعلوا مع بعضهم البعض على هذا الأساس.

•ولذلك تكشف المناطق الحضرية باستمرار عن حدود أكثر اتساعا للتسامح في كثير من المسائل المرتبطة بأنماط السلوك والأخلاقيات والعقيدة الدينية والحرية السياسية والأذواق والموضات ووسائل شغل أوقات الفراغ... إلخ.

•لقد أصبح لساكن الحضر حياته الخاصة وأصبح أكثر انغماسا في ملذاته لأنه أصبح أكثر تحرراً من قيود الجماعة الأولية ، كما أنه لم يعد يتعجب من أي شيء بل يتوقع كل شيء من الآخرين وتبرير ذلك أن المجتمع الحضري مجتمع مفتوح لا يتمسك بعادات صارمة وتقاليد جامدة أو عرف حازم يورثها للأجيال المتعاقبة.

•كما لا يفترض نتيجة لذلك تشابها وتطابقا على جميع افراده بل بلغت فيه درجة اللاتجانس إلى الحد الذى جعله يضع حدودا للتسامح أوسع بكثير من المجتمع الريفي، ولا يعنى ذلك أن المجتمع الحضري مجتمع لا معياري يفتقد إلى ضوابط السلوك وإنما يعني أنه لا يهتم ولا يعني إلا بتنظيم السلوك العام.

•أما السلوك الخاص فأمر يتسامح فيه طالما أنه لا يتعارض مع الأنماط العامة للسلوك، كما أنه يسمح بتعدد الثقافات الفرعية طالما أنها لا تتعارض مع الإطار الثقافي العام.

٥. سيطرة الضبط الرسمي والثانوي: حيث توفر المدينة او المجتمع الحضري لسكانها فرصة العيش في عالمين اجتماعيين مختلفين وهما:

الاول: عالم الأصدقاء والمعارف من ناحية أو عالم العلاقات الأولية الوثيقة،

والثاني: عالم من الغرباء الذين يرتبطون به فيزيقيا عن قرب ولكنهم يكونون أكثر بعدا عنه من الناحية الاجتماعية.

•ويستطيع ساكن الحضر نتيجة لذلك أن يهرب من الضبط القهري للجماعة الأولية عندما يريد، وذلك بأن يختفي في بحر من الغرباء(وتلك هي خاصية الغفلة التي تتميز بها حياة المدينة والتي تحرر سكانها من الضبط الأخلاقي الصارم.)

•ولكنه يستطيع في نفس الوقت أن يهرب من اللامبالاة والعلاقات غير الشخصية بأن ينتمي إلى جماعة أولية كجماعة الأسرة أو شلة من الأصحاب والأصدقاء لكى يسترد أمنه ويشبع إحساسه العاطفي وشعوره بأنه كائن اجتماعي وليس مجرد رقما أو شخصا تافهاً.

•ومن ثم يتخلص من العزلة التي تفرضها عليه حياة المدينة، ومعنى ذلك أن المدينة رغم سيطرة علاقات الجماعة الثانوية عليها إلا أنها في الوقت نفسه عبارة عن مجموعة من الجماعات الأولية المتداخلة التي تمارس قدراً لا يستهان به من ضبط السلوك ولكن ليس بنفس الدرجة من الإحكام كما هو الحال في المجتمع الريفي.

•ونظراً لسهولة الابتعاد عن الضوابط الأولية للسلوك فإن المجتمع الحضري يلجأ إلى ضوابط ثانوية، حيث يتحتم كبح جماح روح الاستغلال المتبادل الذى ينشأ بالضرورة عن ذلك الاتصال أو الاحتكاك المتنوع والوثيق بين أفراد لا تربطهم علاقات شخصية وعاطفية.

•ومن هنا كانت مختلف التنظيمات أو المؤسسات كالقضاء والبوليس والمحاكم والأجهزة الإدارية ذات اليد الطولي في تنظيم العلاقات المعقدة والنفعية بين سكان الحضر.

•وحتى الضبط الديني فإنه يمارس تأثيره من خلال منظمات وروابط ثانوية تعمل ككيانات شرعية أو جماعات ضاغطة وكلما كبر حجم المجتمع الحضري كلما أصبحت مشكلة الضبط أكثر وضوحاً وكانت أجهزة التنظيم والضبط الثانوي أكثر تنظيماً ويحقق فيه الضبط القانوني والشرعي لتنظيم الحياة اليومية أي تفقد في الأعراف والطرائق الشعبية تأثيرها كموجهات للموقف.

٦. التنقل والحراك الاجتماعي: تتسم المدينة او المناطق الحضرية ليس فقط بتحقيق قدر كبير من التنقل الجغرافي للأشخاص والسلع والأفكار ولكنها تشجع أيضا على تحقيق قدر أكبر من التنقل والحراك الاجتماعي.

•أن أهم ما يتميز به البناء الاجتماعي الحضري من تقسيم دقيق للعمل وإتاحة فرص المنافسة وتأكيد العلاقات الشخصية يؤكد عمليات الانجاز والاكتساب والتحصيل أكثر من وراثة المكانة.

•إن المجتمع الحضري يتكون أساساً من حشد كبير وغير متجانس من الأفراد ، كما أنه يستند فيما يقدمه من مكافآت لهؤلاء الأفراد على أساس التغذية والكفاءة والانتاج وهو لأجل هذا كله يحكم على المكانة أو بقدر مراكز الأفراد وفقاً لما يستطيعون أن يفعلوه أو يقدموه أكثر من الحكم عليهم من منظور النسب أو المكانة الموروثة.

•ولذلك فإن ساكن الحضر يستطيع بالتالي أن يحقق درجة ما كبرت أو صغرت من التنقل الاجتماعي بحيث تصبح المنافسة على المكانة وعلى الاحتفاظ بها شغله الشاغل ، فلقد قوضت الحضرية دعائم البناء الطبقي والطائفي التقليدي وجعلت من المدينة أو المجتمع الحضري مكانا تتوفر فيه فرص التنقل الاجتماعي خاصة عندما جعلت من التحصيل والمهارة والتعليم والثروة ومنافذ الكسب المكانة الاجتماعية للأفراد والارتقاء بها.

٧. **الروابط الطوعية:** نظرا لتزايد حجم المدينة او المجتمع الحضري وزيادة كثافته السكانية والقرب المكاني الوثيق بين الأفراد وتنوعهم أو تغايرهم أصبح المجتمع الحضري مجتمع للروابط أو الجماعات الطوعية الاختيارية سواء على مستوى المهنة أو الهواية أو على مستوى الموطن الأصلي أو على مستوى السن أو السلالة.

•لكى يستطيع ساكن الحضر أن يجد دائماً آخرين لهم نفس المصلحة ولهذا السبب تميل كل الجماعات في المجتمع الحضري إلى أن تكسب خاصية الطوعية أو الاختيارية التي لا تعتمد فيها العضوية على أساس القرابة أو النشأة، كما نجد أن كثيراً من العلاقات التي تتميز بها الجماعات الأولية بدأت تميل إلى الطابع الرسمي.

•فلقد أصبحت روابط الزواج أكثر سهولة من حيث إقامتها وبالمثل غدت الصداقة أكثر انقسامية ونفعية فضلا عن ذلك ظهرت أشكالاً جديدة ومتنوعة من الجماعات تستند أساساً على المصالح المتخصصة نجد من بينها الشلل والنوادي والقوميات والمجاورات وغيرها من جماعات نوعية متخصصة.

•وقد ترتب على ذلك أن مصالح الفرد وآراؤه لن تكون ذات أهمية ونفوذ ما لم ترتبط بمصالح جماعة معينة، وربما كان التأكيد على الممارسة أو الاهتمام الجمعي بالمصالح الخاصة هو ما جعل المجتمع الحضري أو المدينة يفقدان طابع المجتمع المحلى بالمعنى الحقيقي للكلمة ليصبحا في النهاية مجرد كيانات إدارية أو سياسية أو جغرافية تقتصر باستمرار إلى الولاء والانتمائية.

٨. **الفردية:** يتسم سكان المجتمع الحضري بالفردية حيث تشجع الحضرية وباستمرار على تأكيد روح الفردية ، فالحشد الهائل من الجموع البشرية في المجتمع الحضري والطابع الثانوي والاختياري والطوعي للروابط الحضرية إلى جانب تعدد الفرص وتنوعها وسهولة التنقل أو الحراك الاجتماعي وتنوع الجماعات التي قد ينتمي إليها الأفراد وتعدد المصالح التي توجد بينهم.

•وما تشجعه الحياة الحضرية من روح المنافسة كل ذلك من شأنه أن يجبر الفرد على أن يتخذ قراره بنفسه، وعلى أن يخطط لحياته بطريقة فردية مستقلة ، الحضرية إذن تصنع الأفراد دائما بعضهم من بعض وذلك من خلال ما تزكيه بينهم من تميزات وفروق.

•كما أن وعى الفرد لاختلافه عن الآخرين وتميزهم عنه ومعرفته بما يمكن أن يسميه بالنسبية البشرية يعطيه منظورا خاصا لنفسه بحيث يمكنه أن يرى نفسه بموضوعية أكبر وأن يفصل ذاته عن هذه الجموع المحتشدة من حوله، وفي تعامله وتفاعلاته مع الآخرين ينبغي على ساكن الحضر أن تكون لديه القدرة أن يتحايل عليهم وأن يحمى ذاته من تحايلاتهم نحوه، الأمر الذى يضطره دائما أن يميز ذاته عن الآخرين.

•ويتمخض ذلك كله عن نوع من تفتيت الحياة الاجتماعية وتميزها بالطابع الفردي حيث يقف الأفراد بما لهم من وعي ذاتي بالتميز والتفرد في جانب وتقف الروابط والمنظمات الكبرى في المدينة في جانب آخر ولا وسط بين الطرفين.

٩. العزل المكاني: في الواقع ان التنافس على المكان في مثل هذا المجتمع الحضري الدينامي واللامتجانس من شأنه أن يؤدى إلى عزل واضح ومتميز للجماعات والأنشطة والوظائف ينعكس بوضوح على ما له من نمط مكاني، حيث نجد أن مركز المدينة أو المنطقة الحضرية يشغل بطبيعة الحال بالوظائف ذات الأهمية المحورية للمجتمع ككل.

•مثل أعمال الادارة والحكم والبنوك الأمر الذى يجعل القيمة الإيجارية في مثل هذه المراكز مرتفعة بدرجة ملحوظة وتؤثر المنافسة على المكان واستخداماته المختلفة وغيرها من عمليات أيكولوجية كالتوسع والغزو والتمركز والتشتيت... الخ.

•تأثيراً باعثاً في تحديد ما تتمثله المدينة بصفة عامة من هيكل فيزيقي ومن بناء أيكولوجي والعزل المكاني الذى يتميز به البناء الأيكولوجي للمجتمع الحضري إنما يتيح وسائل أكثر ملائمة لفهم طبيعة التنظيم الاجتماعي لهذا المجتمع ، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار أن سكان أي منطقة من المناطق الحضرية يميلون إلى تطوير طابع اجتماعي وثقافي خاص ومميز لهم عن غيرهم من سكان مناطق أخرى.

•وبعد كشف ظواهر مثل الخصوبة والهجرة والجريمة وجناح الأحداث والطلاق والانتحار والأمية وغير ذلك من ظواهر السلوك الاجتماعي تختلف اختلافاً واضحاً من منطقة إلى أخرى داخل المجتمع الحضري في ضوء التوزيع المكاني أو ما يسمى بالأيكولوجيا الحضرية تجعل من المدخل الأيكولوجي واحداً من المداخل الهامة في الدراسة السوسيولوجية للمجتمع الحضري.

١٠. الحياة الحضرية اوسع نطاقا من الحياة الريفية: ففي الحياة الحضرية يكون الشخص حراً في نوع تعليمه وحرفته وسكنه وطريقة حياته الخاصة والعامة بينما في الريف نجد كل الظروف العائلية تفرض على الشخص كثيرا من أنماط السلوك يضطر إلى تنفيذها بحذافيرها.

•فهو ليس حراً طليقاً ولكنه مقيد ومكبل بقيود العادات والتقاليد التي تخضع لها قريته، وهو لا يستطيع أن يأتي بجديد أو يقوم بالتعبير الخلاق فهو يدور في إطار ضيق محدد تماماً بعكس الحياة الحضرية ففيها التجديد، والخلق والإبداع أي أن الحضرية دينامية وليست استاتيكية.

١١. تمتاز الحياة الحضرية بالتكيف السريع: فالفرد الجامد الذى لا يستطيع التكيف سرعان ما يتخلص بل يتنبأ له الباحثون بالمرض النفسي ، ولكن الفرد المتكيف المتفاعل هو الذى يمكنه البقاء في المدينة ، فالتكيف السريع شرط أساسي للحياة الحضرية الناجحة.

•هذه أهم خصائص الحياة الحضرية بشكل عام ، ومع هذا فالحياة الحضرية لا يمكن اختزالها في هذه الخصائص الإحدى عشر فقط فهي أوسع من أن تحدد خصائصها بشكل حصري تماماً.

<u>خامساً :مستقبل الحياة الحضرية</u>

•لقد ظل الإنسان لأزمنة طويلة يعيش في المدينة دون أن يفكر في المستقبل ولكن في ظل التطور والتقدم التقني السريع بدأ الإنسان يواجه بحيره إزاء حياته في المدينة، وظهرت وجهتي نظر متباينة تجاه الحياة في المدينة ومستقبل العيش فيها وهما : وجهة النظر الأولى وتتمثل في تشاؤم الكثيرون من مستقبل المدينة لما لها من آثار سيئة على حياة البشر وما تؤدى إليه من تدمير للقيم الإنسانية.

•ف" أزولد شبنجلر "أكبر مفكر فيهم يرى أن المدينة ذاتها عبارة عن شر يدمر كل شيء وفي النهاية تعزف المدينة موتا في آثامها ويقول أن مولد المدينة يحمل في نفس الوقت علامة موتها.

•كما عبر" جون ايفلين "في القرن السابع عشر عن شكواه من الدخان والتلوث الذى أصاب المراكز الحضرية في لندن وقد أخذت هذه الشكوى تزداد في القرن الثامن عشر والتاسع عشر وفي القرن العشرين في بريطانيا على وجه الخصوص كنتيجة للتغيرات التي طرأت على أساليب الحياة في ظل النمو الصناعي وتطور المصانع.

•والأمر على هذا النحو يختلف عما كان يبدو في المدن القديمة من شرور ظاهرة، كالأمراض الناجمة عن انخفاض مستوى الوقاية الصحية التي كانت تزداد تركزا في حياة المدن ، فالمراكز الحضرية تشهد ازدحاما سكانيا يعيشون معا في ظروف سيئة وبعض هؤلاء السكان قد وفدوا من الريف طلباً للعمل في الوقت الذى كانت فيه المراكز الحضرية قد أصبحت عاملاً من عوامل الجذب.

•ولقد استخدم" لويس ممفرد "عبارتين يصف فيهما الظروف بالغة السوء في المراكز الحضرية وهما صراع الفردوس وصراع الجحيم، فالمساكن المتزاحمة في شوارع رتيبة تبعث على الملل والمكتظة بأعداد هائلة من السكان التي تتحمل الازدحام الشديد والفقر إلى جانب الكثير من الأمراض الاجتماعية الأخرى.

•كل ذلك موجود بالمدن ويرى بعض المراقبين أن المرض والازدحام الشديد والفقر ليست مرعبة في حقيقتها بقدر ما يترتب عليها من نتائج كالجريمة والانحلال والانحطاط الخلقي الذى يستشرى في ظل الحياة الحضرية، والذي يتخذ صوراً وأشكالاً شتى مؤلمة.

•ولقد تناول الكتاب في كتاباتهم الشرور الحضرية من زوايا عديدة فقد تحدث" زولا "عن الأحياء المتخلفة في باريس، كما تحدث" سنكلير "عن نفس الشيء في شيكاغو ، كما تحدث في نفس الموضع" ديكنز."

•كما كان هناك أيضا" وليام بوث "الذى دعا إلى تكوين جيش الخلاص في كتابه المرسوم(انجلترا المظلومة)وطريق الخلاص الذى نشر عام1980 صور شتى شرور الحياة الحضرية واقترح حلولاً لها.

•فالفقر في المناطق الحضرية الذى استشعره كثير من المفكرين الاجتماعيين لم يكن مقبولاً كظاهرة اجتماعية ناجمة عن الحياة الحضرية إلا بعد ظهور أول مسحين اجتماعيين علميين تم إجراؤهما حول الأوضاع الحضرية، فقد أجرى" تشالز بوث" عام 1902 مسحا لمدينة عظمى(لندن.)

•كما أجرى" راونترى "عام 1901 مسحا لمركز حضري وهي مدينة (يورك)، وقد أجريا هذين المسحيين وفقا لبحوث علمية دقيقة بذلا فيها عناية كبيرة ، وقد انتهيا إلى نتائج مزعجة مؤداها :أن هناك في بريطانيا وهي واحدة من أغنى بلاد العالم وأكثرها تحضراً قطاعا كبيرا من السكان ممن يعيشون ويموتون في فقر.

•غير أن هناك بعض الباحثين الذين يردون على هؤلاء المتشائمين والذين يرون أن المدينة والحضرية كطريقة في الحياة لا يمكن أن تكون مسئولة عن مثل هذه الكوارث لافتقارها إلى الدليل العلمي، حقيقة أن المدينة قد تسببت في وجود أنواع جديدة من الجرائم وزيادة في انحراف الأحداث.

•وزيادة كبيرة في تصدع الأسر واحتمالات كثيرة للمرض النفسي والانهيار العصبي وقيام فرص كثيرة لظهور التفكك والقلق والاضطراب في المجال الفردي والجمعي إلا أن جذور هذه المشاكل جميعاً كانت موجودة قبلا في الحياة الريفية وتضخمت أو ظهرت واضحة في المدينة تبعا لزيادة حجمها وازدحام السكان فيها.

•وعلى العكس مما يقوله المتشائمون فإن الحضرية كطريقة في الحياة تنمو باستمرار وتفرض نفسها على كل طريقة أخرى في المجتمع.

•لكن الجدير بالذكر هنا أن أولئك الذين يعارضون مساوئ وآثام المدينة ولديهم أفكار وتطلعات حول المستقبل فقد إلى قسمين هما- :

•**أما أولهما** :يرون أن بالإمكان ايجاد أحياء سكنية حديثة على نمط جديد داخل المدن أو المراكز الحضرية.

•**أما الثانية** :فإنهم يرون أنه من الأفضل إقامة مراكز حضرية أو مدن أو قرى جديدة تماما على شكل مجتمعات محلية يخطط لها تخطيطاً جيداً ، ومن أهم دعاة هذا الرأي الأخير" روبرت أوين "و" تيتوس سولت "وهما من أصحاب المصانع الأثرياء الذين يبدون اهتماما شديدا بالطبقة العاملة ، ويرون أن التغير أو التحسين في البيئة التي تعيش فيها العمال لابد أن يجعلهم يتغيرون إلى الأحسن.

•ومن المفكرين المعنيين بقضايا المدينة" ابنيزرت هوارد "الذى يعتبر من أكبر المؤثرين في هذا المجال ، ولقد كتب في مؤلفه الذى نشر عام 1946 حول مزايا وعيوب الحياة في الريف والمدن والذى أثار مبادئ لنظريات حول تخطيط المدن، والذى أكد فيها أن الإنسان يمكن أن يتغير بفعل بيئته.

•ومن هنا فقد رأى البعض أن تغير الإنسان يمكن أن يتحقق من خلال النهوض بالأحياء الفقيرة في المدن من النواحي التعليمية والاجتماعية وأيضاً عن طريق خلق مجتمعات محلية نموذجية ولقد تركت هذه الأفكار تأثيراً في دوائر تخطيط المدن.

•ومن هنا تبرز أهمية التخطيط للمدن بالتركيز على النظر إلى المدينة ليس على أسس مادية بحته لأنه يمكن أن ننجح في ترتيب كل شيء في الحياة الحضرية من الناحية المادية، ومع ذلك تظل الحياة الحضرية مثقلة بالهموم ومكانا قاتما للفرد.

•ومن أجل هذا تبرز أهمية التخطيط الحضري الذى لابد أن يواجه مسائل العلاقات والقيم الذى يجب أن تهدف إلى مزيد من العلاقات المباشرة بين الناس وإعادة بناء القيم على أساس يقلل فرص الانحراف ويضمن ايجاد مستوى موحد تقريباً في النظرة إلى الحياة ، فالمدينة ليسن مجرد أبنية وشوارع أو ميادين أو معدات للحياة اليومية توفر الوقت والمجهود.

•بل أنها نوع من الحياة جديدة على البشرية يجب أن نهيئ له الأساس المعنوي وما يتضمنه من تنظيم اجتماعي لابد أن يصل إلى مرتبة التضامن والتماسك الاجتماعي.

المحاضرة الثالثة

التوجهات النظرية في علم الاجتماع الحضري

عناصر المحاضرة

- مدخل
- أولاً :النظرية الايكولوجية
- ثانياً :النظرية النفسية الاجتماعية

مدخل

- رغم أن الاهتمام بدراسة المدينة والحياة الحضرية قد استقر حديثا وصارت له دراسات وبحوث متخصصة ويمثل جهداً أكاديميا محدد الأبعاد إلا أن ذلك لا ينفي وجود مصادر معرفة انبثقت منها هذه الدراسات والبحوث المتخصصة، وقد عينت البحوث الحضرية في العقود الماضية بصفة خاصة وبشكل أكثر فهما بالبحث عن الحقائق وجمع المعلومات والبيانات أملاً في الوصول إلى تفسير منظم ومتقن للحياة الحضرية.

- خاصة وأن المدينة ظاهرة معقدة ومتشابكة يحتاج إلى فهمها منظورات نظرية أكثر شمولا وكفاءة إذا ما أريد لهذا الفرع من المعرفة أن ينمو وأن يتطور.

- وفي الواقع توجد عدد من المحاولات النظرية التي بذلت لتحديد معالم النظرية الحضرية أو تقييم الموقف النظري في علم الاجتماع الحضري وسنحاول في هذه المحاضرة أن نعرض بعض التوجهات النظرية لعل من أهمها النظرية الايكولوجية والنظرية النفسية الاجتماعية ونظرية الثقافة الحضرية ونظرية العولمة وثنائية الريفي والحضري.

- وتمثل هذه النظريات في الواقع توجهات نظرية معرفية يمكن من خلالها تناول أية ظاهرة تلحظ في المجتمع الحضري حيث أن الحياة الحضرية عملية مركبة ذات الأبعاد المتشابكة والمعقدة وهي ظاهرة سائدة في كل المجتمعات بدرجات متفاوتة ، وبالتالي فإن محاولة تفسيرها من خلال تلك النظريات تساعد على الواقع الفعلي لطبيعة تلك الظاهرة.

أولاً :النظرية الايكولوجية

- يعزو استخدام مفهوم الايكولوجيا **Ecology** إلى العالم البيولوجي الألماني" أرنست هايكل "عام 1869 حيث استخدم كلمة **Ockologie**ليشير بها إلى علاقة الكائن الحي ببيئته العضوية وغير العضوية.

- وقد اشتق المصطلح من الكلمة اليونانية **okios** ومعناها منزل أو سكن ، والمعنى الواسع للفظ يشمل أيضا من يقيمون في السكن ونشاطهم اليومي ومبلغ تأديتهم لوظائفهم للإبقاء على الحياة وضمان الحصول على مواردها ، وهو المعنى المفهوم من لفظ **Homing** وبذلك يكون المعنى العام لكلمة الايكولوجيا أنه العلم الذي يدرس الأفراد الذين يعيشون في بيئة واحدة والوقوف على مبلغ نشاطهم وتفاعلهم مع عناصر البيئة.

- أما **روبرت بارك** وهو مؤسس هذه النظرية فقد حدد الإطار العام للنظرية حيث ذهب إلى اعتبار المدينة مكانا طبيعيا لإقامة الإنسان المتحضر ، حيث كان بارك مفتونا بكثير من خصائص الحياة الاجتماعية في شيكاغو ولذا فقد لاحظ بعض التصورات الهامة عن المدينة من أهمها-:

•أنه رأى أن المدينة الحديثة عبارة عن بناء تجاري يدين في وجوده إلى السوق التي تتوسع المدينة حوله ، وأكد على أن المدينة الحديثة تتميز بالتقسيم المعقد للعمل ، وهيمنة السوق التي أدت إلى انهيار الطرق التقليدية في الحياة الحضرية.

•رأى بارك أن المدينة الحديثة تتسم بالبناءات الرسمية عن طريق وجود ما يسمى بسيطرة البيروقراطيات على نطاق واسع، وستلعب الأجهزة البيروقراطية مثل البوليس والمحاكم والمؤسسات التطوعية الخيرية ومؤسسات الرفاهية الاجتماعية دوراً متزايداً في الحياة الحضرية.

•كما تصور بارك المدينة – متأثرا بدراسات جورج زيمل – باعتبارها مكانا أصبحت الحياة فيه أقل عاطفية وأكثر عقلانية عن الحياة في أي مكان آخر ، بيد أن بارك كان واعياً في الوقت نفسه بأنه ربما يؤدى انهيار الروابط العاطفية التقليدية في المدينة إلى ظهور روابط اجتماعية جديدة معتمدة على جماعات المصلحة والعلاقات الثانوية.

•كما ذهب بارك في مقالته الرائدة(المدينة)بعض المقترحات حول دراسة السلوك الإنساني في البيئة الحضرية إلى أنه يحاول فهم المدينة بوصفها مكانا جغرافيا ، وكذلك باعتبارها نطاقا أخلاقيا، وهو يعتقد أنه يجب وصف المدينة بطريقة يمكن معها عن طريق التحليل الوظيفي إظهار إمكانات الحياة الثقافية والأخلاقية فيها.

•أما وصف بارك بأنه ايكولوجية المدينة فإنه لا يعني الاقتصار على تتبع التقسيم المكاني الداخلي للمدينة ، أو وضع خريطة لمختلف الأشياء التي توجد بها ، وإنما ما أراده في الحقيقة اكتشاف تأثير هذه الظواهر الفيزيقية في خبرة سكان المدينة الإنسانية والعاطفية ودورها في تشكيلها.

•ويفترض بارك أن الظروف النفسية والأخلاقية للحياة في المدينة سوف تعكس نفسها بصورة طبيعية في كيفية استغلال المكان وفي أنماط الحركة الإنسانية والانتقال ....الخ ، وافترض بارك بمعنى آخر أن الثقافة تتجلى في الأشياء المصنوعة وأن المدينة لها طابع عضوي.

•ورأى بارك أنه يمكن استخدام مناهج انثروبولوجية في دراسة جوانب حياة المدينة وخصوصا الثقافات الهامشية (كالعصابات)والمهاجرين المنعزلين والفروق بين الناس وفقاً لمحال إقامتهم ، وأما عن البيانات المتصلة بذلك فأمكن الحصول عليها من المصادر الإحصائية الرسمية.

•وقد ميز بارك في داخل المدينة ما يطلق عليه اسم(المناطق الطبيعية)وهذه المناطق هي مواطن للجماعات الطبيعية أو الفطرية كالبوهميين الذين يوجدون في المدن الكبرى بشكل طبيعي لأنهم غير مخططين ويعتبر وجودهم نتاجا للقوى التي تعمل باستمرار على توزيع السكان ووظائفهم على نحو مبين داخل مجتمع المدينة المعقد.

•كما رأى بارك أن المدينة عبارة عن بناء متكامل بمعنى أن ما يصدق عليها ينسحب على كل قسم من أقسامها الفرعية، بحيث تصبح لكل مجاورة من مجاوراتها خصائص متميزة استمدها من خصائص سكانها لتكشف عن استمرار تاريخي خاص بها ، وعلى هذا الأساس فإن المدينة تمثل وحدة على درجة عالية من التنظيم من حيث المكان انبثقت وفقا لقوانينها الخاصة.

•ولقد انطلق بارك نتيجة لذلك من حقيقة أن العالم الطبيعي وحدة تتحرك وفقا لقوى منتظمة يمكن تحديدها بسهولة ، محاولاً نقلها إلى دراسة المدينة كبيئة طبيعية أيضا ومن ثم وضع هدفاً للدراسة الايكولوجية مؤداه : أن الكشف عن الأنماط المنتظمة في المكان للعلاقات الاجتماعية.

•ولقد تحقق اكبر انجاز للنظرية الايكولوجية في صورتها الأولى على يد أرنست بيرجس وبخاصة فيما قدم من تصور نظري خاص للنمط الايكولوجي للمدينة، وتعرف هذه النظرية باسم نظرية الدوائر المتمركزة أو بالتصور الحلقي ومؤداه :أن المدينة تتخذ في نموها شكل خمس حلقات متحدة المركز تمثل الحلقة الأولى منها منطقة الأعمال المركزية وفيها تدور أكثر نشاطات المدينة كثافة ، وتقع على أطرافها حلقة ثانية هي منطقة التحول والانتقال التي تتعرض وباستمرار للتغير نتيجة اتساع ونمو الحلقة الأولى ، كما تتميز بكثافتها السكانية العالية وظهور التفكك الاجتماعي.

•أما الحلقة الثالثة فتضم منطقة سكنى الطبقات العاملة ويليها منطقة الفيلات وفى النهاية تقع الحلقة الخاصة خارج دود المدينة حيث تشكل الضواحي والأطراف مناطق سكنية لذوى الدخل المرتفع.

•عالج بيرجس نمو المدينة في ضوء امتدادها الفيزيقي وتمايزها في المكان، وإن هذه الحلقات الخمس تتمثل في نظره مناطق متتابعة من الامتداد الحضري، وهو في تأكيده لهذا الوصف الفيزيقي ذهب إلى أن ظاهرة النمو الحضري هي نتيجة لازمة لعمليات التنظيم والتفكك في نفس الوقت، تشبه تماما عمليات الهدم والبناء في الكائن العضوي.

•وإذا كان كل من بارك وبيرجس قد نجحا إلى حد ما في تصوير المدينة ككيان فيزيقي يتميز بحلقاته ودوائره الخمس، فإن ماكينزى جاء بدوره ليوضح القوانين والعمليات التي تعمل داخل هذا الكيان وتفسر بالتالي وجود هذه المناطق المميزة وذلك من خلال عمليات كالمنافسة والتركيز والإبادة والعزلة والغزو والتعاقب، ورأى أنها منشأ أو توحد هذه المناطق الطبيعية التي تشكل البناء الفيزيقي للمدينة.

•وهنا نطرح سؤالاً مؤداه : ما هو المقصود بالغزو والعزلة والإبادة ؟

•يقصد بالغزو العمراني هو انتقال الجماعات والأفراد من منطقة لأخرى ويسمى أحيانا الهجرة وقد يكون على نطاق واسع وقد يضيق نطاقه فيقتصر على تحريك بعض الجماعات بقدر محدود.

•أما العزلة فتتخذ مظهران يمثل المظهر الأول العزلة الفكرية والمذهبية بمعنى أن الجماعات التي تمارس العزلة من الممكن أن تصاهر غيرها أو تدخل في علاقات اجتماعية مباشرة مع الآخرين رغم التباعد الفكري أو المذهبي، أما المظهر الأخر فهو العزلة الكاملة من الناحيتين الاجتماعية والمكانية ، فلا تختلط هذه الجماعات بغيرها ولا تتعامل إلا في أضيق الحدود ، وتحافظ بقدر الإمكان على مقوماتها وخصائصها وتراثها الاجتماعي ويعبر عن المظهرين معاً بالعزلة البشرية.

•والإبادة الاجتماعية فتتضمن مظهران ويشير المظهر الأول إلى حملات الإبادة لجماعات بأسرها عن طريق الاضطهاد الديني أو الجنسي أو الاعتقال ، أما المظهر الثاني فيتضمن إفناء التراث الثقافي والقضاء على مقومات الحضارة والدين وذلك عن طريق إغلاق للمدارس والجامعات وتخريب المكتبات وقتل الأساتذة والطلبة وتشريدهم.

•هذا وقد ازدادت عمليات الغزو والعزلة والإبادة والتعاقب في المجال العمراني إثر تطور الهجرة الداخلية والخارجية وقيام الحروب سواء كانت حروب عالمية أو حروب إبادة يقوم بها المستعمرون من البيض ضد الأجناس الآخرين مما وسع من نطاق الدراسات المتصلة بالايكولوجيا الاجتماعية.

•ولقد ساهم كل من دنكان وشنور وهاولى وهم من أقطاب النظرية الايكولوجية حيث توصلا إلى أن درجة التحضر بالمجتمع تتناسب طردياً مع طبيعة نظام تقسيم العمل بالمجتمع الحضري، بمعنى أنه كلما ازدادت درجة تقسيم العمل الاجتماعي نتيجة سيادة النظام الصناعي بالمجتمع الحضري ارتفعت درجة التحضر به.

•كما أن درجة التحضر تتناسب طردياً مع التطور التكنولوجي السائد وهي نتيجة منطقية تتسق مع نمط النشاط السائد بالمدينة وهو الصناعة في الغالب، حيث يؤدى هذا النشاط إلى استخدام مخرجاته أي المقتنيات التكنولوجية الحديثة في زيادة تحضر المجتمع نتيجة استخدام موارده المتاحة بشرية كانت أم مادية أفضل استخدام ممكن.

•ولا يتوقف النشاط الحضري وينحصر داخل حدود المدينة فقط وإنما يمتد أيضا إلى المناطق المتاخمة أولاً ثم إلى المناطق الخارجية ثانياً، وبطبيعة الحال فإن التناسب هنا يكون عكسيا بين البعد المكاني عن المدينة ودرجة التأثير الناجمة.

•وفي منتصف الأربعينات من القرن العشرين صاغ كل من هاريس وأولمان نموذج النوايات المتعددة الذي يذهب إلى أن نمو المدينة لا يعتمد على نواة واحدة وإنما على نوايات متعددة ، فهناك النواة الرئيسية في مركز المدينة وهي منطقة النشاطات التجارية والخدمات الرئيسية وهناك نواة تجارة الجملة والصناعات الخفيفة بالقرب من النواة الرئيسية ، كذلك توجد نواة الصناعات على أطراف المدينة ، وحول هذه النوايات تتوزع مناطق سكنية متنوعة بعضها للدخل المحدود وبعض آخر للدخل المتوسط وبعض ثالث للدخل المرتفع.

•وبرغم أهمية إسهامات النظرية الايكولوجية في تفسير البناءات الايكولوجية الحضرية إلا أنها تعرضت لنقد شديد، ولقد كان من أهم ما وصفت به النظرية الايكولوجية المبكرة أنها بدأت تحليلها من طريق خاطئ وذلك عندما وجهت كل اهتمامها إلى الجوانب الجيوفيزيقية للمدينة دون أن تهتم بحياتها الاجتماعية.

•فالحياة الاجتماعية – على حد تعبير مارتندال -هي بناء التفاعل وليست بناء الحجر والصلب والأسمنت والأسفلت ، وليس أدل على أن النظرية الايكولوجية قد ضلت طريقها إلى التحليل السوسيولوجي من الاهتمام الكثير من الدراسات الايكولوجية باكتشاف خصائص المناطق المختلفة دون اهتمام بنوع الحياة الذي أدى إلى ظهور هذه الخصائص كمن يهتم بدراسة الجريمة ومسرحها دون اهتمام بالمجرم نفسه.

•كذلك فقدت النظرية الايكولوجية بشدة لبدائية مفاهيمها وعدم أهميتها في التحليل السوسيولوجي للموضوعات التي طرحتها، كمفاهيم للمناقشة والعزل والغزو... الخ ، من المتصور في نظر البعض مثل مارتندال أنه بالإمكان أن تعالج بعض المسائل المرتبطة بالحياة الاجتماعية الحضرية في ضوء هذه المفاهيم ولكن ليس بالإمكان أن تتحدد من خلالها لأنها تنطبق على الحياة الريفية كما تنطبق على الحياة الحضرية.

•بل لا يقتصر استخدامها على الحياة الإنسانية فحسب فقد تمتد لمعالجة بعض الأمور المرتبطة بالحياة النباتية والحيوانية أيضا، أن النظرية الايكولوجية بهذا المعنى قامت على تصورات غير كافية لصياغة نظرية محددة المعالم عن المدينة يمكن أن تتميز عن نظرية أخرى تعالج موضوعاً آخر في إطار النظرية السوسيولوجية ، غير أن ذلك لا يعنى أن النظرية الايكولوجية كانت ضرباً من العبث ، فالحق أن للنظرية الايكولوجية في تاريخ علم الاجتماع الحضري لها وزنها وأهميتها وبخاصة في القدر الهائل من البيانات والمعطيات الأمبريقية التي قدمتها عن المدينة.

ثانيا : النظرية النفسية الاجتماعية

•تشير هذه النظرية في علم الاجتماع الحضري إلى أعمال رواد مدرسة فكرية متميزة ظلت تسيطر على علم الاجتماع الألماني لفترة طويلة حتى وقتنا هذا ، كما تمثلها أعمال ثلاثة من روادها «ماكس فيبر ، و جورج زيمل ، و أوزفالد شبنجلر » الأوائل وهم وفيما يلي نشير إلى أهم إسهامات كل منهما على النحو التالي-:

1) ماكس فيبر وتصوره للمدينة:

•لقد انتهج ماكس فيبر في معالجته للمدينة منهجا يختلف تماما عن ذلك الذي ذهبت إليه أعمال تونيز ودوكايم ولكنه كان مهتما بتطوير نموذج عام للمدينة ، ولكنه ذهب إلى أن تحقيق ذلك بدون الاهتمام الواعي بالمدن الفعلية في الأنماط المختلفة من العالم ، وفي أزمان مختلفة سيؤدى إلى نظرية حضرية ذات قيمة محدودة جداً.

ولتوضيح هذا المنهج كتب فيبر معالجته الشهيرة عن المدينة والتي ظهرت لأول مرة عام 1921 حيث قام بمسح المدن في التاريخ الأوروبي والشرق الأوسط وقارن بينهما وفقاً لمعلوماته وبياناته عن المدن التاريخية ، وطور فيبر تعريفاً أسماه بالمجتمع المحلى الحضري المتكامل فإنه يجب أن تبدى المنطقة هيمنة نسبية للعلاقات التجارية هذا فضلاً عن تميز المنطقة الحضرية بالسمات التالية-:

أ- أن يعتمد المجتمع الحضري الكامل على التجارة أو العلاقات التجارية وأن المدينة على عكس المجتمع الريفي لا يمكن أن تحقق اكتفاء ذاتيا من الناحية الاقتصادية تقريباً ، فالسكان يعتمدون على بعضهم البعض اقتصادياً بمعنى التضامن العضوي الذي ذهب إليه دوركايم.

ب- أن المدينة يجب أن تكون مستقلة نسبياً حيث حدد فيبر أن تقيم المدينة محكمة وقانونا خاصة بها، أو على الأقل استقلال سياسي جزئي.

ج- ضرورة أن يكون المجتمع الحضري على شكل متصل من الرابطة بمعنى أن يقيم سكان المدينة علاقات تقوم على المشاركة في حياة مدينتهم.

•ولقد كان فيبر يقصد من تعريفه للمدينة أن يقدم نموذجا مثاليا لظروف المدينة أي كوسيلة للحياة الحضرية تستطيع أن تواجه القدرات الاجتماعية الكامنة في هذا التنظيم للإقامة البشرية، ويفترض هذا النموذج المثالي أنه من الممكن تقديم وصف عقلاني أو رشيد لظاهرة اجتماعية مثل المدينة.

•ولكن هذا الوصف العقلاني قد قام على المنظور التاريخي ومعني ذلك أن النظرية العقلانية عن المجتمع هي نتاج للتاريخ أي نتاج الخبرة الحقيقية للناس، وليست مستندة إلى فروض أو أبنية فرضية تنتمي إلى بعض المفكرين ، وباستخدام طريقة النماذج المثالية يمكن المقارنة بين الصور الاجتماعية المركبة ويستخدم العقل كوسيلة أو أداة للتعمق في الخبرة التاريخية تلك التي لا تظهر إذا حصر الملاحظ رؤيته في نطاق المادة التاريخية خلال الزمان.

•وبالتالي يفترض النموذج المثالي لفيبر عن إمكانية إيجاد وصف رشيد (عقلي)لأية ظاهرة اجتماعية مثل المدينة، إلا أن المناقشة الرشيدة غالبا ما تحدث خارج لغة التاريخ ولذلك نرى ماكس فيبر في معالجته للمدينة قدم تفسيراً جديداً حيث أن معاصريه لم يحاول تحليل أثر العوامل الحضرية في بعض جوانب الحياة الاجتماعية ، كما فعل معظم المعاصرين له ممن تأثروا بأعمال تونيز ودوركايم.

•كما أنه من ناحية أخرى ابتعد تماماً عن الاتجاه التصوري أو الشكلي الذي تبناه زميله زيمل وحاول جاهدا أن يوضح الظروف التي تجعل دور المدينة ايجابياً أو ابتكارياً في الحياة العامة للإنسان مستعيناً في ذلك بدراسته لمدن الماضي أو المدن القديمة ومعتمداً في نفس الوقت على تصور خاص في تعريفه للمدينة.

•ومن الممكن أن يوصف الموقف النظري لماكس فيبر بأنه شكل من أشكال السلوكية الاجتماعية، فهو لم يرغب في أن يحدد أبعاد التحليل السوسيولوجي في مجرد وصف أو تصوير الأشكال النفسية فقط، بل اعتمد منذ البداية أن مهنة علم الاجتماع تتمثل في شرح السلوك الإنساني في أبعاده الهادفة وذات المغزى لا من وجهة النظر الخارجية فقط.

•وبمعنى آخر تمثلت مهمة علم الاجتماع في نظره في شرح وتفسير الأفعال الإنسانية والعلاقات في ضوء معانيها أو مغزاها بالنسبة لأطرافها وأيضاً ما يرتبط بها من تغيرات فيزيقية خاصة ، ومن هنا تبدو قيمة المدخل الذي قدمه ماكس فيبر لدراسة المدينة ومشكلاتها من وجهة نظر علم الاجتماع" الفعل الاجتماعي "بمقارنته بزيمل.

•ففي الوقت الذي ينحل فيه المجتمع في نظر كل منهما إلى تفاعلات اجتماعية وسلوك إنساني متبادل وهادف، نجد أن زيمل يقصر مهمة علم الاجتماع على دراسة الصور المختلفة للسلوك والتفاعل دون محتواها أو مضمونها، ليصبح العلم في النهاية مجرد عملية إحصاء للصور النفسية للفعل الاجتماع فقط، بينما يدع فيبر هذا التمييز بين الصورة والمحتوى جانبا ويقرر أن مهمة علم الاجتماع هي تقديم تفسير علمي للفعل الاجتماعي.

•وقد ترتب على ذلك أن احتوت نظريته في المدينة والتحضر على نظرية زيمل دون أن يكون العكس صحيحاً ، وكانت معالجته للمدينة على هذا النحو محاولة لبناء نموذج نظري متكامل للحياة الحضرية.

•لقد بدأ فيبر في دراسته للمدينة بالتصور الشائع للمدينة على أنها منطقة مستقرة وكثيفة من سكان متزاحمين ينعدم التعارف الشخصي والمتبادل بينهما، وفي هذا الصدد يطرح فيبر عددا من المفاهيم الأساسية التي يبدو أن لها صلة بالمجتمع المحلي يستطيع من خلال فهمها أن نمهد لتصوره للمجتمع الحضري منها-:

1.الأفعال الاجتماعية :وهي الوحدات النهائية أو المطلقة للتحليل السوسيولوجي ، أي أنها تصرفات إنسانية متداخلة ومتبادلة ذات مغزى أو معنى معين للأطراف المشتركين فيها.

2.العلاقات الاجتماعية :ويشير هذا المفهوم إلى ترتيب أو تنظيم ثابت للعناصر التي تظهر في الفعل الاجتماعي ، فهي - أي العلاقات – لا توجد بمعزل أو خارج الأفعال الاجتماعية ، بل هي ترتيبات متخيلة للفعل يمكن تصورها على نحو مجرد كأنماط للفعل الاجتماعي الظاهر.

3.النظم الاجتماعية :وينطوي مفهوم النظام على نفس العلاقة القائمة بين الفعل والعلاقة الاجتماعية ولكن على مستوى أكثر تجريداً ، فالنظام الاجتماعي يعرض دائماً أنماطاً أكثر ثباتاً للسلوك ومع تلك الأهمية التي تبدو للنظم الاجتماعية إلا أنها لا تكفي بذاتها لتفسير الحياة الاجتماعية برمتها، ونظراً لأنها تمثل جوانب مختلفة ومتعددة للحياة الاجتماعية، أن دراسة النظم تمهد الطريق للباحث ليصل بعد دراستها واحدا بعد الآخر إلى الوحدات الكبرى المنظمة للحياة الإنسانية المتداخلة.

4.المجتمع المحلي :هو وحدة كلية منظمة للحياة الاجتماعية لا يتميز بنظام واحد بعينه بل مجموعة منسقة ومتداخلة من النظم.

•وبصدد الحديث عن المجتمع المحلي الحضري وجد فيبر أن ما قدم قبله من تفسيرات كانت عبارة عن تصورات جزئية للمدينة ، فالمدينة بالمعني الاقتصادي أو بمعني كحامية عسكرية أو كجهاز إداري سياسي لا تكون مجتمعاً حضرياً كاملاً إلا إذا كان يمثل نوعاً من سيطرة أو غلبة العلاقات التجارية ويعرض ككل لمجموعة من الخصائص أهمها-:

١. التحصين.

٢. السوق.
٣. محكمة خاصة وقانون مستقل.
٤. شكل مترابط من أشكال الرابطة.
٥. الاستقلال الذاتي أو على الأقل إدارة ذات سلطات يشارك فيها المواطنون بالانتخاب.

•ويبدو أن تصور فيبر للمدينة واضحا إذا حددنا المصطلح المرتبط به ارتباطا وثيقا وهو مصطلح **cosmopolitan** أو مصطلح العالمية حيث نستطيع أن نصف أي منطقة للإقامة البشرية بهذه الصفة إذا ظهرت فيها أساليب متنوعة للحياة جنباً إلى جنب مع وجود أفراد ذو اتجاهات مختلفة ، ولقد نقل فيبر هذا التعريف إلى ثقافة المدينة ذاتها.

•فالمدينة هي الشكل الاجتماعي الذي يسمح بدرجة عالية من الفردية، والتميز في كل مظهر واقعي من المظاهر الموجودة في العالم، ولتحديد معنى المدينة لا يمكن الاقتصار على وصف نمط حياة منفرد ولكن باعتبار أنها أحد البناءات الاجتماعية التي تعمل على إيجاد أساليب حياة ملموسة ومتعددة وهكذا تصبح المدينة مجموعة من البناءات الاجتماعية التي تعمل على تشجيع الفردية والتجديد ومن ثم تصبح أداة للتغير التاريخي.

•ومن هنا نستطيع أن نوضح دراسة فيبر للمدية وحيث افترض أن المدينة الحديثة لا توضح أو تعبر عن المدينة باعتبارها ثقافة ، فقد نظر إلى المدن في أيامه على أنها نظم بدائية ومتخلفة، أكثر من كونها نتاجات لخط معقد من التطور التاريخي مثلما اعتقد كثير من المعاصرين له، فالقوة الرشيدة والبيروقراطية الكامنة في الرأسمالية الحديثة عبارة عن عمليات جدلية معقدة.

•إلا أنها تعمل على إيجاد نوع من انتكاس أو تقهقر البيئة الحضرية وعلى العكس من الماركسيين الذين عاصروه فقد ذهب فيبر إلى عدم الاعتقاد في التطورات التاريخية التي تظهر بصورة جامدة وموجهة، فقوى النمو الصناعي توجد حالة من التخلف الحضاري أكثر مما حدث في مدن العصور الوسطى، وهكذا استطاع أن يشف ويجدد الشكل الحضري في العصور الوسطى المتأخرة في البلدان.

•وأن يلقى الضوء على المدن الايطالية في عصر التنوير والتي بدت أكثر قربا من تنميط ظروف وحالات بناء المدينة التي نتج عتها أساليب حياة حضرية متنوعة وعديدة وهي بهذا على العكس من تلك المدن التي تسود أوروبا في العصر الحديث والتي يأمل فيبر في توضيحها دون دراسة تغيرها وكيفيته وإنما توضح ما يمكن أن يفقد منها الآن.

2)جورج زيمل والحياة العقلية للمدينة:

•لقد كان زيمل صديق وزميل دراسة لماكس فيبر ، ولقد اشترك كل من فيبر وزيمل في تصور البناءات التي تكون المدينة الغربية الحديثة إلا أن زيمل لم يوافق فيبر في تفسير سبب وجود المدينة بالإضافة إلى أن زيمل يرى إمكانية وجود حياة حضرية معقدة وجديدة في تلك الأشكال الحضرية للعصر الحديث.

ويرى زيمل أن الحقيقة للحياة الحضرية لكل الأنواع سواء في الأسرة أو القانون الحضري كانت متمثلة في الشعور بالقهر ، ذلك الشعور الذي يحيط بالإنسان في المدينة التي يعيشها.

ويرى زيمل أن الإفراط في الحافز النفسي يقود الناس إلى محاولة الدفاع عن أنفسهم برد الفعل العاطفي بالنسبة لمن يحيطون بهم في المدينة وهذا يعنى ألا تحاول القيام برد الفعل كما تفعل جميع الكائنات البشرية، وكدفاع ضد تعقيد الحياة الحضرية.

•ولقد توصل زيمل إلى صورة تشبه كثيراً ما توصل إليه فيبر عن خصائص حياة المدينة الحديثة تلك الخصائص المتمثلة في اللاشخصية والبيروقراطيات التي لا تتمثل فيها العلاقات المباشرة وعمليات السوق الفعلية إلا أن زيمل يعتقد أن هذه السمات ناتجة عن حالة نفسية اجتماعية تصيب طبيعة التحضر.

•ولذلك يرى زيمل أن الخصائص الوظيفية وغير العاطفية الأكثر ارتباطاً بالمدينة هي القوى التي تحفز الناس إلى النظر للنظام المبهم في الحياة ، وهي القوى التي تحرر الناس إيجاد دائرة السلوك الروتيني لمشاعرهم وآفاقهم الثقافية، وحيث أن روتين الحياة هو سلوك دفاعي فإن الشخص الذي يدافع عن نفسه يعتقد أن ذاتيته هو تكمن في مقدرته على الدفاع وارتفاع فوق المسائل الدنيوية والأشياء العاطفية وأن يعيش حياته بعيداً عنها.

•لذا فقد رأى زيمل أن ظهور العالم الحديث كان سببا للاهتمام بكيفية قدرة الفرد على تمكينه من إبقاء روح الحرية والإبداع في قلب العوامل الاجتماعية الشاملة ، وأكد في مقالته الميتروبوليس والحياة العقلية إلى أن الفرد سيتعلم القدرة على تعليم نفسه مع الحياة في المدينة، فالمدينة في تصور زيمل تمطر الفرد بوابل من المناظر المختلفة والأصوات والروائح.

•ومن أجل مقاومتها يجب أن يتعلم كيفية التمييز بينها بدقة ويتوافق مع الضروري ويبتعد عما لا يعينه ، وتصبح هذه العملية التي تحدث في الإنسان الحضري أكثر تعقيدا وعقلانية عنها في الإنسان في القرية، ونتيجة لعملية التمييز هذه فإن المدينة ككل تصبح أكثر عقلانية ورشداً، فالسكان يخططون وينظمون حياتهم اليومية لتحقيق أعلى فاعلية فمثلاً التنظيم المعقد للوقت في المدينة الذي يتمثل في المنبهات وساعات اليد.

•ورأى زيمل أنه لو توقفت فجأة كل الساعات في مدينة مثل برلين بألمانيا ولو لساعة واحدة فقط، فإن الحياة الاقتصادية والاتصالات في المدينة سترتبك لفترات طويلة، وبالإضافة إلى التنظيم الرشيد للوقت نظر زيمل إلى عقلانية المدينة التي تظهر في التقسيم المعقد للعمل، فالحياة الاجتماعية في المدينة هي تفاعل المتخصصين.

•كما أشار زيمل إلى أن الميتروبوليس(المدينة الأم)كان دائما هو المقر الرئيسي لاقتصاد النقود ، والتي تعتبر النقود أحد الأسباب الأساسية لتحقيق عملية التبادل، وأن النقود تهتم فقط بما هو مشترك بين الجميع كما أنها تختزل كافة الأنماط إلى السؤال بكم أو إلى قيمة عددية.

•وفي إطار الأسس النفسية التي تكمن وراء الحياة الحضرية الميترو بلقائية ذهب زيمل إلى أن ساكن الميترو بوليس يواجه دائما بالعديد من التوترات ، وأنه من المتعين عليه أن ينمى في ذاته(عقله)تقيه هجمات عناصر البيئة الخارجية التي تحاول دائما اقتلاعه والإطاحة به، وتتمثل هذه العقلية في ضرورة أن يستجيب ساكن الميترو بوليس أو يتفاعل بعقله لا بقلبه لأنه إذا استسلم لعواطفه ومشاعره في تفاعلاته كان الضياع قدره لا محالة.

•أن البيئة التي من حوله تكثف لديه إدراكاته وليس مشاعره أو عواطفه ، وتؤدى باستمرار إلى غلبة الذكاء الذي يسير جنباً إلى جنب مع تخصص البيئة الحضرية وتمايزها ويصبح في النهاية من أهم الخصائص المميزة للمدينة.

•وهكذا يتفق زيمل مع فيبر في بعض النقاط ويختلف معه في نقاط أخرى، فهو يتفق معه في أن الصورة الحضرية التي توجد في العصر الحديث تشير إلى إمكانية ظهور حياة حضرية ومعقدة، وفي أنه بالإمكان وصف هذه الصورة بالاعتماد على نماذج مثالية ولكن عناصر هذا الوصف يجب أن تكون سوسيولوجية أكثر منها بنائية.

•إن حالة الضياع التي يعيشها إنسان المدينة والابتعاد عن الاستجابات العاطفية بين سكان المدينة والعلاقات الجزئية والانفعالية بينهم وسيطرة البيروقراطية وإدارة السوق كميكانيزمات تدفع إليها الحياة الحضرية ، ولكن في الوقت الذي يرى فيبر أنه ظهرت بتأثير قوى اقتصادية متضمنة في الرأسمالية يرى زيمل أنها نتاج ظروف حضرية ذات طبيعة نفسية واجتماعية في الأساس.

3) أوزفالد شبنجلر وثقافة المدينة:

•يعتبر أوزفالد شبنجلر آخر ممثل للنظرية النفسية الاجتماعية ، والذي لم يكن صديقا شخصيا لأي من فيبر أو زيمل إلا أن كتاباته عن المدينة تعكس بعض أفكارهما وهي التي كان لها تأثير واضح على مدرسة شيكاغو بأمريكا.

ويعتقد شبنجلر أن مراحل تطور المدينة تشير إلى الحياة الحضرية ككل في الثقافات الغربية بهذا التصور تميز تماما عن تصورات فيبر وزيمل الذين اهتما بتتبع الخصائص المميزة للمدينة كبناء اجتماعي ، كذلك ذهب شبنجلر إلى أن مراحل نمو المدينة تتخذ شكل الدورة لأن نشأة المدينة الثقافية وتدهورها يتخذ نمطاً واضحاً يكشف عن مراحل النمو والتدهور في المجتمع إلا أن شبنجلر ابتعد عن المفكرين القدامى.

وذلك بوقوفه على مجريات النمو الحضري الذي يختلف عن النمو الصحي للمجتمع، فلقد اعتقد شبنجلر أن المدينة الكبيرة في عصره تعمل على إفساد نشاط وحيوية وطاقة من يقيم بها حيث تتميز بالطابع الروتيني وتصبح الحياة فيها قاسية، بحيث تتدهور المدن ويعود المجتمع إلى نوع من الحياة الزراعية وغير المتمدنة، وهكذا تعمل دورة النمو الحضري على إعادة تنظيم ذاتها.

•وفى كتابه الأساسي تدهور الغرب كان يعتقد شبنجلر أن ثقافة المدينة الغربية قد أخذت في التدهور والتفسخ منذ بدايات القرن العشرين ، كما يعتقد شبنجلر أن دورة الحياة الحضرية تنطبق على إفساد سكانها عن طريق اختفاء الطابع النظامي على عمليات العلاقات البشرية المتبادلة وعن طريق جعل هذه العمليات روتينية وغير عاطفية ، ولقد أدرك زيمل هذا من خلال تطور المدن الأكبر حجماً.

•إلا أن فكرة شبنجلر أن كل ثقافة غربية أو غير غربية لها روح شعبية تظهر في المراحل الأولى من تطورها وهذه الروح تمنع الثقافة هويتها وحينما تنمو المدن تدريجيا فإن ذلك يؤدى إلى تغيير هذا الطابع الثقافي نتيجة تشجيع الفردية والانفصالية بين أعضاء المدينة، وهكذا تتشابه جميع المدن الكبرى طالما أنها نشأت في الأصل عن ثقافة واحدة ، هذا التشابه هو علامة المرض والتغير والأفول الداخلي، أما التوازن بين القرية والمدينة فهو رأي شبنجلر مفتاح صحة كل المجتمعات النامية.

•والمدينة في تصور شبنجلر هي الميجابوليس وهي الفكر المتحرر ، فلقد تولد الذكاء أصلا في خضم مقاومة القوى الإقطاعية بتقاليدها من البورجوازية كطبقة مفكرة أصبحت أكثر وعياً بوجودها ، عندما نما هذا الذكاء أعاد المفكر الحضري تشكيل عقيدة العصر الذهبي ليحل الدين الجديد لطبقة العوام والعلم الليبرالي المتحرر، ليحل الدين القديم لطبقة النبلاء والقساوسة.

•وبنفس القوة والوضوح أطلعت المدينة بمهمة السيطرة على الأرض مستقبلة لتلك القيم التقليدية التي ارتبطت بها بفكرة النقود أو المال كفكرة متميزة عن السلع أو المنتجات ، وكذلك تضمنت حياة المدينة التأكيد على المال كفكرة متميزة عن السلع والمنتجات، وكذلك تضمنت حياة المدينة التأكيد على المال جنباً إلى جنب مع الفكر والذكاء.

•إذا لم يقتصر دور المال على مجرد فهم المعاملات الاقتصادية فحسب بل امتد أيضا ليخضع تبادل السلع والمنتجات لاتجاهات نموه ، وكلما نمت المدينة وزاد توسعها كلما تطور سوق المال، لأن المال أصبح هو القوة المسيطرة ، ولقد أصبح

المال بالنسبة للإنسان شكلاً من أشكال النشاط الذي يوقظ باستمرار شعوره بالوجود والبقاء حتى أصبحت المدينة تمثل ديكتاتورية المال غير المحدود.

- وهكذا يتبين لنا أن هناك اتفاقاً واضحاً يجمع ما بين تصور فيبر وزيمل وشبنجلر مؤداه التأكيد على العقلية الحضرية رغم اختلاف كل منهما في تفسير هذه العقلية كلما كشف هذا التأكيد عن تصورهم النفسي الاجتماعي في تحليل ظروف الحياة في المدينة الحديثة.